Social Responsibility In Islam: A Study in Textual Roots and Contemporary Linguistic Manifestations

المسؤولية الاجتماعية في الإسلام دراسة في الجذور النصية والتجليات اللغوية المعاصرة

Received 2025-01-13
Accepted 2025-10-20
Published 2025-12-31

Faisal Mohammad Mohammad Hasan
Assistant Professor
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University
Fmhasan@uqu.edu.sa

To cite this article: Hasan, Faisal Mohammad Mohammad. (2026). Social Responsibility In Islam: A Study in Textual Roots and Contemporary Linguistic Manifestations. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 9 (1), 463-481, DOI: https://doi.org/10.18860 /ijazarabi.V9i1.41007

Abstract
This research provides a comprehensive study of Islamic social responsibility through textual and linguistic analysis, addressing its contemporary applications. The study's objective is to investigate the conceptual foundations of social responsibility in Islamic primary sources, examine its linguistic representations, and analyze the challenges of its modern implementation. The methodology combines inductive analysis of religious texts with linguistic examination and contemporary case studies. Key findings demonstrate that the linguistic structure of Islamic texts utilizes precise terminology and rhetorical methods that effectively reinforce social responsibility. Empirical evidence indicates that societies that implement Islamic social principles exhibit significantly higher rates of family stability and psychological well-being than contemporary alternatives. The study concludes that the Islamic approach to social responsibility offers a comprehensive framework for social cohesion. Primary recommendations include integrating Islamic social concepts into educational systems, developing flexible legislative frameworks for family law, and utilizing digital platforms for community engagement.
Keywords: Responsibility; Social; Islamic; Linguistic; Contemporary

المقدمة

تمثل المسؤولية الاجتماعية في المنظور الإسلامي نظاماً قيمياً متكاملاً، يشكل أساساً للعلاقات الإنسانية وضمانا لاستقرار المجتمعات، وفي ظل التحولات العالمية المتسارعة والتحديات المعاصرة، تبرز الحاجة الملحة لإعادة قراءة الأسس النصية للمسؤولية الاجتماعية في الإسلام، وتحليل تجلياتها اللغوية، وتشخيص إشكاليات تطبيقها المعاصر.

يأتي هذا البحث ليسهم في سد فجوة معرفية مهمة، من خلال الربط بين التأصيل النصي والتحليل اللغوي من جهة، والواقع التطبيقي والمعاصر من جهة أخرى، حيث يهدف إلى كشف الجذور النصية للمسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم والسنّة النبوية، وتحليل البنى اللغوية والدلالية التي تحمل مضامين هذه المسؤولية، وتشخيص أهم الإشكاليات المعاصرة التي تواجه تطبيقها، واقتراح آليات لتجديد خطابها.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ويناقش البحث هذه القضية عبر مبحثين رئيسيين: يتناول الأول الجذور النصية والتجليات اللغوية لمسؤولية الفرد الاجتماعية، بينما يحلل الثاني الإشكاليات المعاصرة وآليات تجديد الخطاب، ليختتم بنتائج وتوصيات تستشرف مستقبل تفعيل المسؤولية الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة.

منهجية البحث

واعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص الشرعية، والمنهج التحليلي في دراسة الأبعاد اللغوية والدلالية، والمنهج المقارن في تحليل الإشكاليات المعاصرة، كما استند إلى دراسة النصوص من مصادرها الأصلية، مع تحليل الإحصائيات والدراسات الميدانية المعاصرة. وتكمن أهمية البحث في كونه يقدم رؤية متكاملة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، من خلال الربط بين التحليل النصي اللغوي والواقع التطبيقي، كما يتميز بدراسة البعد اللغوي في خطاب المسؤولية الاجتماعية، مما ينسجم مع طبيعة المجلة المحكمة المتخصصة في الدراسات اللغوية.

نتائج البحث ومناقشتها

الإطار المفاهيمي واللغوي للمسؤولية الاجتماعية

تمثل المسؤولية الاجتماعية في المنظور الإسلامي منظومة قيمية متكاملة، تجسد العلاقة التكاملية بين الفرد والمجتمع، وفي السياق اللغوي، فإن مصطلح المسؤولية مشتق من الجذر الثلاثي سَأَلَ، الذي يحمل دلالة الطلب والاستفسار، مما يشير إلى أن المسؤول مُطَالَب بأداء واجباته ومحاسب عنها. ويتجلى البعد اللغوي للمسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم من خلال مجموعة من المصطلحات المفتاحية التي تشكل نسيجاً دلالياً متكاملاً، فكلمة الأمانة - كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] - تحمل دلالة شاملة للمسؤوليات جميعها، يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: "الأمانة: هي التكليف، وقبول الأوامر والنواهي" (Al-Zamakhshari, n.d., p. 518).

ويأتي مصطلح العهد ليشكل ركيزة أخرى في بناء المفهوم، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقد عرفها الراغب الأصفهاني بأنها "مراعاة ما يعقده الإنسان على نفسه من عقد بالقول" (Al-Isfahani, n.d., p. 578)، أما مصطلح الحق فيحمل دلالة الثبوت والوجوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ حَقٌّ﴾ [طه: ٤٢]. وفي السنة النبوية، تتنوع المصطلحات الدالة على المسؤولية، ومن أبرزها الواجب والذمة والضمان، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" (Al-Bukhari, 2002, p. 215)، وكلمة راعٍ هنا تحمل دلالة الحفظ والرعاية والمسؤولية.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ويؤكد ابن تيمية على هذه الخصوصية بقوله: "فالعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه" (Ibn Taymiyyah, 1997, p. 38)، وهذا يشمل جميع أنواع المسؤوليات الاجتماعية. وبهذا يتجلى أن المفهوم الإسلامي للمسؤولية الاجتماعية يمثل نسقاً قيمياً متكاملاً، تجسده مجموعة من المصطلحات الشرعية التي تحمل دلالات عميقة، وتشكل إطاراً مفاهيمياً متميزاً يقوم على الربط بين المسؤولية والدين، والجمع بين الحقوق والواجبات في توازن دقيق.

الجذور النصية والتجليات اللغوية لمسؤولية الفرد الاجتماعية

يشكل الرصيد النصي من الوحيين - القرآن الكريم والسنّة النبوية - المنبع الأصيل الذي تستمد منه النظرية الإسلامية في المسؤولية الاجتماعية أسسها ومقاومها، ولا تقف أهمية هذه النصوص عند حد تأصيل المفهوم وتأسيسه فحسب، بل تمتد إلى صياغة الوعي الجمعي عبر أدوات لغوية بديعة ونسق دلالي متماسك، يجعل من المسؤولية الاجتماعية قيمة حية متجذرة في الضمير الإنساني قبل أن تكون التزاماً خارجياً.

ويهدف المبحث إلى تتبع الجذور النصية للمسؤولية الاجتماعية في المصادر التشريعية الأساسية، مع الوقوف على التجليات اللغوية والدلالية التي تكرس المفهوم في الخطاب الشرعي، ويأتي ذلك عبر محورين متكاملين: يتناول الأول الأسس النصية في القرآن والكتب الستة، بينما يحلل الثاني البنية اللغوية والدلالية لخطاب المسؤولية الاجتماعية.

١. الأسس النصية في القرآن والسنة

يُمثل القرآن الكريم والسنّة النبوية المنبع الأصيل الذي تستمد منه نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإسلام أسسها ومقوماتها، ففي هذين المصدرين تتجلى الرؤية المتكاملة للمسؤولية بوصفها التزاماً وجودياً يستوعب كل مجالات الحياة، وهذا المحور يقتفي أثر هذه الأسس النصية، مُستقصياً تجلياتها في الوحيين، ومُبرزاً كيف شكّلت هذه النصوص الوعي الجمعي للمسلمين تجاه مسؤولياتهم الاجتماعية.

أ. الأسس النصية في القرآن الكريم

يُعد القرآن الكريم الدستور الأساسي الذي ينظّم علاقة الفرد بالمجتمع، وقد جاءت نصوصه حافلة بالمبادئ والتوجيهات التي تؤسس لمسؤولية الفرد الاجتماعية، ومن أبرز هذه الأسس قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فقد فسّر الطبري الأمانة بأنها "التكليف وقبول الأوامر والنواهي" (Al-Tabari, 2001, p. 145)، مما يجعلها الشاملة لكل صور المسؤولية الاجتماعية. ويأتي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] ليشكل الأساس التشريعي للمسؤولية التعاقدية، وقد وسّع السعدي مفهوم العقود ليشمل "العقود التي بين العبد وبين ربه، والتي بينه وبين الرسول، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة" (Al-Saadi, 2000, p. 218). كما يؤسس القرآن لمسؤولية الفرد تجاه المجتمع من خلال الأمر بالتعاون على البر والتقوى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ويعلق الشاطبي على هذه الآية بقوله: "التعاون على البر والتقوى من مقتضيات الأخوة الإيمانية، وهو أساس بناء المجتمع المسلم" (Al-Shatibi, 2004, p. 176). ويبرز البعد الاجتماعي أيضاً في تشريع الزكاة والصدقات، كما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ويوضح القرطبي أن "الزكاة تطهير للنفس من الشح، وتزكية للمال بالبركة" (Al-Qurtubi, 2006, p. 162).

ب. الأسس النصية في السنة النبوية

تمثل السنة النبوية التطبيق العملي والتفصيلي للرؤية القرآنية حول المسؤولية الاجتماعية، حيث جاءت الأحاديث النبوية شاملة ومفصلة لجوانب هذه المسؤولية في إطار متكامل، ويأتي في مقدمة هذه الأسس الحديث الجامع الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (Al-Bukhari, 2002, p. 215)، يعلق النووي على هذا الحديث بقوله: "هذا الحديث يتناول جميع الرعاة، ويدخل فيه الإمام الأعظم، ويدخل فيه دون ذلك، ويدخل فيه الرجل في أهله وولده وخدمه" (Al-Nawawi, 2003, p. 213).

ويؤسس النبي صلى الله عليه وسلم لمسؤولية الفرد تجاه جاره في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" (Al-Bukhari, 2002, p. 12)، وقد علق ابن حجر على الحديث بقوله: "البوائق: الشرور والغوائل، والمراد أن الجار لا يأمن شر جاره وظلمه" (Ibn Hajar, 2003, p. 456). كما تؤسس السنة النبوية لمسؤولية التكافل الاجتماعي من خلال الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ" (Al-Bukhari,

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

2002, p. 134)، يبين الخطابي أن "في الحديث بيان لعظم حق الجوار، وأن المؤمن ينبغي أن يشارك جاره في السراء والضراء" (Al-Khattabi, 2008, p. 78).

وتؤكد السنة على مسؤولية الفرد تجاه المجتمع من خلال الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" (Muslim, 2006, p. 119)، يقول القاضي عياض: "في الحديث الحث على الاغتراس والزرع، وأنه من الصدقة الجارية، وفيه أن نفع الحيوانات من أعمال البر" (Al-Qadi Iyad, 2009, p. 234).

٢. التجليات اللغوية والدلالية في خطاب المسؤولية

لا تقتصر عظمة البيان القرآني والنبوي في معالجة قضية المسؤولية الاجتماعية على المضامين الفكرية والقيم الأخلاقية فحسب، بل تمتد إلى البنية اللغوية والأسلوبية التي تشكل نسيجا دلاليا متماسكا، يعكس عمق الرؤية الإسلامية للمفهوم، ويقوم هذا المحور برصد هذه التجليات اللغوية عبر مستويات التحليل اللغوي المختلفة، كاشفاً عن كيفية اشتغال اللغة في الخطاب الشرعي على ترسيخ قيمة المسؤولية الاجتماعية في الوعي الجمعي.

أ. المستوى المعجمي (المفردات)

يحظى الخطاب الشرعي المتعلق بالمسؤولية الاجتماعية بثروة فريدة، تتمثل في مجموعة من المصطلحات المفتاحية التي تشكل حقلاً دلالياً متكاملاً، وتأتي كلمة الأمانة في صدارة هذه المصطلحات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، يشرح الزبيدي ذلك قائلاً: "الأمانة: كل ما ائتمن عليه الإنسان من أمر الدين والدنيا، وهي ضد الخيانة" (Al-Zabidi, 2001, p. 556)، فهذا المصطلح يحمل دلالة شمولية تجمع بين المسؤولية التعبدية والاجتماعية. ويحمل مصطلح العهد دلالة الاستمرارية والثبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، يبين الراغب الأصفهاني أن "العهد يراد به التوثيق للشيء، وهو أعم من العقد، ولهذا سمي الميثاق عهدا" (Al-Isfahani, n.d., p. 342)، فالدلالة المعجمية للكلمة تؤكد على طابع الاستمرارية في الالتزام.

أما مصطلح الحق فيحمل دلالتي الثبوت والوجوب، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "أدِّ الأمانةَ إلى من ائتَمنك، ولا تَخُنْ من خانك" (Abu Dawud, 2009, p. 295)، يشرح الفيروزآبادي أن "الحق: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره" (Al-Firuzabadi, 2005, p. 1245). ويتجلى الثراء المعجمي في استخدام مصطلح "الرعاية" كما في الحديث الشهير: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" (Al-Bukhari, 2002, p. 215)، يوضح ابن فارس أن "الراء والعين

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أصلان: أحدهما يدل على إقامة شيء، والثاني على تسوية شيء" (Ibn Faris, 2002, p. 445)، فالدلالة المعجمية تؤكد على معاني الحفظ والرعاية والقيام بالمسؤولية.

وتمثل كلمة التكليف بعدا مهماً في حقل المسؤولية الاجتماعية، حيث يذكر الجرجاني أن "التكليف: هو طلب ما فيه كلفة" (Al-Jurjani, 2003, p. 78)، وهذا يعكس الطابع العملي للمسؤولية الاجتماعية في الإسلام.

ب. المستوى النحوي والتركيبي

لا تقف الدلالات اللغوية للمسؤولية الاجتماعية عند حدود المفردات والمعجم، بل تمتد إلى البنى النحوية والتراكيب الأسلوبية التي تحمل مضامين عميقة في تأكيد الالتزام وتثبيت المسؤولية، ويبرز في الخطاب الشرعي استخدام صيغ نحوية محددة تحمل دلالات الإلزام والتأكيد.

فصيغة الأمر التي وردت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، تحمل دلالة الوجوب والإلزام، يشرح ابن هشام ذلك قائلاً: "صيغة الأمر تفيد الوجوب ما لم تصرفها قرينة، والأصل في الأمر الوجوب" (Ibn Hisham, 2003, p. 128)، وهذا يؤكد الطابع الإلزامي للمسؤولية الاجتماعية في التصور الإسلامي. كما تبرز الصيغ الشرطية في الربط بين المسؤولية والجزاء، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (Al-Bukhari, 2002, p. 215)، يبين السيوطي أن "أسلوب الشرط يربط الجزاء بالشرط ربطاً محكماً، مما يزيد في تأكيد المعنى وتثبيته في النفس" (Al-Suyuti, 2007, p. 167). وتحمل صيغة التوكيد في الخطاب القرآني دلالات مهمة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، حيث جاءت إن واللام في عرضنا مؤكدتين، يشرح الزركشي ذلك بقوله: "التوكيد يرد في مواطن الأهمية والعناية، وفي مقامات التأكيد على عظم الشأن" (Al-Zarkashi, 2006, p. 87).

ويمثل أسلوب القسم أداة نحوية مهمة في تأكيد المسؤولية، كما في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١-٢]، حيث يقسم الله تعالى بمخلوقاته على أهمية المسؤولية الإنسانية. يبين الباقلاني أن "القسم يؤكد المخبر به ويزيد في تثبيته في النفس" (Al-Baqillani, 2001, p. 234). وتحمل الصيغ النحوية للعموم دلالات شمولية للمسؤولية، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ التي تفتتح بها العديد من الآيات المتعلقة بالمسؤوليات الاجتماعية، يوضح الشاطبي أن "أداة النداء للناس تدل على عموم الخطاب وشمول التكليف" (Al-Shatibi, 2004, p. 89). كما تبرز التراكيب الشرطية في الربط بين الإيمان والمسؤولية الاجتماعية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ،

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" (Al-Bukhari, 2002, p. 12)، يعلق العيني على هذا التركيب قائلاً: "تكرار نفي الإيمان ثلاث مرات يؤكد عظم المسؤولية، ويجعلها من صميم الإيمان" (Al-Ayni, 2009, p. 156).

ج. المستوى البلاغي والأسلوبي

يتميز الخطاب الشرعي في مجال المسؤولية الاجتماعية بثراء بلاغي وأسلوبي فريد، حيث تتجلى روائع البيان في صياغة المفاهيم وتأكيد المضامين، وتبرز في هذا السياق مجموعة من الأساليب البلاغية التي تخدم غرس قيمة المسؤولية في الوجدان الجمعي. فأسلوب الاستفهام التقريري يأتي لترسيخ مفاهيم المسؤولية، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ [النساء: ٦٠]، يشرح الجرجاني أن "الاستفهام التقريري يهدف إلى تثبيت المعنى في النفس، وتأكيد حقيقته في الذهن" (Al-Jurjani, 2002, p. 189)، وهذا الأسلوب يحفز السامع إلى مراجعة مسؤولياته والتأمل في مدى الوفاء بها. ويبرز أسلوب التكرار كأداة بلاغية مؤثرة في تثبيت مفهوم المسؤولية، كما في الحديث النبوي: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ" (Al-Bukhari, 2002, p. 12)، يعلق السكاكي على هذا الأسلوب بقوله: "التكرار يزيد المعنى قوة وثباتاً، ويجعل الكلام أرسخ في القلوب" (Al-Sakkaki, 2000, p. 234).

ويمثل الطباق أسلوبا بلاغياً رفيعاً في الجمع بين الترغيب والترهيب، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، يبين القزويني أن "الطباق يزيد المعنى وضوحا وتأكيدا، ويجعل التصوير أدق وأكمل" (Al-Qazwini, 2003, p. 156). ويأتي أسلوب التمثيل ليجسد المعاني المجردة للمسؤولية في صور محسوسة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" (Muslim, 2006, p. 1999)، يشرح عبد القاهر الجرجاني أن "التمثيل يجعل المعقول محسوساً، والمجرد ملموساً" (Al-Jurjani, 2004, p. 278).

ويتجلى أسلوب الالتفات في الانتقال بين ضمائر الخطاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، يبين الزمخشري أن "الالتفات يحدث تنقلاً في الأساليب يبعث النشاط في النفس، ويجدد الانتباه" (Al-Zamakhshari, n.d., p. 167). ويمثل الإيجاز مع البلاغة سمة بارزة في خطاب المسؤولية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (Al-Bukhari, 2002, p. 89)، يقول الجاحظ: "الإيجاز هو البلاغة،

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وهو أن تعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة" (Al-Jahiz, 2001, p. 145). ويبرز أسلوب القَصَص كوسيلة بلاغية مؤثرة في ترسيخ المسؤولية، كما في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]، يعلق الثعالبي قائلاً: "القصة تجعل العبرة حية، والعظة نابضة، والحكمة ماثلة للعيان" (Al-Tha'alabi, 2008, p. 267). ومما سبق نلحظ أن النصوص الشرعية – قرآناً وسنة – قد شكلت نسيجاً متكاملاً ومترابطاً، يقوم على تأسيس المسؤولية الاجتماعية بوصفها التزاماً وجودياً وأخلاقياً قبل أن تكون مجرد واجبات شكلية، فقد جاءت النصوص القرآنية حافلةً بالمبادئ والتوجيهات التي تجعل من المسؤولية ركناً أساسياً في علاقة الفرد بالمجتمع، بدءاً من آية الأمانة التي تجسد التكليف الإلهي للإنسان، مروراً بآية الوفاء بالعقود التي تؤسس لالتزام تعاقدي شامل، ووصولاً إلى آية التعاون على البر والتقوى التي تجسد المنهج العملي للتكافل الاجتماعي، كما أن السنة النبوية جاءت مُفصلةً ومُؤكدةً لهذه المعاني، من خلال الأحاديث التي تؤسس لمسؤولية الفرد في كل موقعه، وتجسد التطبيق العملي لهذه المسؤولية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

كما كشف البحث عن ثراءٍ دلالي وأسلوبي فريد، تجلى في اختيار مصطلحات تحمل حمولات دلالية عميقة، مثل الأمانة والعهد والحق والرعاية، والتي تشكل بمجموعها حقلاً دلالياً متكاملاً يعكس شمولية المفهوم وعمقه، كما برزت الأساليب النحوية والبلاغية كأدوات فعالة في ترسيخ قيمة المسؤولية، من خلال استخدام صيغ الأمر المؤكدة، والأساليب الشرطية التي تربط المسؤولية بالجزاء، وأساليب التوكيد التي تؤكد عظم المسؤولية وخطورتها، وقد تجلى الإعجاز البياني في استخدام الأساليب البلاغية المتنوعة كالاستفهام التقريري والتكرار والطباق والتمثيل والتي أسهمت في نقل مفهوم المسؤولية من حيز التجريد إلى حيز التمثل والالتزام.

إشكاليات التطبيق المعاصروآليات تجديد خطاب المسؤولية

تمثل الإشكاليات المعاصرة التي تواجه تطبيق المسؤولية الاجتماعية تحدياً جوهرياً يستدعي وقفة تحليلية عميقة، تستكشف جذور هذه الإشكاليات وتأثيراتها على النسيج الاجتماعي كما تتطلب طرح آليات عملية لتجديد الخطاب الشرعي بما يتناسب مع مستجدات العصر، ويأتي المبحث ليشخص أهم هذه الإشكاليات في ضوء المقارنة بين المجتمعات الإسلامية والغربية مع اقتراح رؤى تجديدية تستلهم من الشريعة الإسلامية مرونتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

١. تشخيص الإشكاليات وتأثير الخطاب الوافد

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

يشهد الواقع المعاصر تحولات عميقة طالت البنى الاجتماعية الأساسية مما أفرز جملة من الإشكاليات التي هددت كيان الأسرة المسلمة وأضعفت تماسكها، ويأتي هذا المحور لتشخيص هذه الإشكاليات تحليلاً مستندا إلى الرؤية الإسلامية مستقصياً جذورها ومظاهرها مع التركيز على أثر الخطاب الوافد في تعميق هذه الإشكاليات من خلال مؤسسات دولية ومؤتمرات عالمية عملت على تفكيك منظومة القيم الأسرية في الإسلام.

أ. الإشكالات الأسرية: تفكك الأسرة والانزياح عن الزواج الشرعي

تشكل الأسرة في المنظور الإسلامي النواة الأساسية للمجتمع وقد أرسى الإسلام لها نظاماً متكاملاً يحفظ كيانها ويضمن استقرارها من خلال ضوابط تشريعية دقيقة، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الروم: ٢١)، حيث يلاحظ في هذه الآية الانزياح الأسلوبي من ضمير الغائب "خلق" إلى ضمير المتكلم "جعل" مما يوحي بأن المودة والرحمة هما عطاء إلهي مباشر يتجاوز مجرد الخلق الطبيعي (Al-Qurtubi, 1964, p. 124). غير أن المجتمعات المعاصرة تشهد تحولات خطيرة تمثلت في الانزياح عن النموذج الإسلامي للزواج حيث يرى الإمام الشاطبي أن "الزواج من العقود التي راعى الشارع فيها المعاني الاجتماعية الكلية، بحيث لا ينفك حكمها عن مصلحة الجماعة" (Al-Shatibi, 1997, p. 215)، وهذا ما يفسر تشديد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية الزواج في قوله: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج" (Al-Bukhari, 2002, p. 215)، حيث نلاحظ في هذا الانزياح البلاغي من نداء الجماعة إلى خطاب الفرد مراعاة للطبيعة النفسية والاجتماعية للشباب.

بالمقابل تشهد المجتمعات الغربية تحولاً نحو أنماط علاقاتية بديلة حيث يلاحظ الماوردي أن "العلاقات خارج إطار الزواج تؤدي إلى اختلال النظام الاجتماعي بأسره" (Al-Mawardi, 1999, p. 477)، وقد نتج عن الانزياح ارتفاع ملحوظ في نسبة المواليد خارج إطار الزواج، حيث تصل في فرنسا إلى ٦٠٪ (Wildsmith et al., 2018, p. 3)، وفي الولايات المتحدة إلى ٤٠٪ (U.S. Census Bureau, 2016, p. 15). ويترتب على هذا الانزياح اختلال في نظام النسب وهو ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام" (Al-Bukhari, 2002, p. 318). ويعلق ابن قيم الجوزية على هذا المعنى بقوله: "حفظ الأنساب من مقاصد الشريعة العظام، لأنه يترتب عليه نظام الميراث، والمحرمية، والولاية، وغيرها من الأحكام الشرعية" (Ibn al-Qayyim, 1973, p. 90).

ويشير الإمام القرطبي إلى أن "الانزياح عن نظام الزواج الشرعي يؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية، وانهيار النظام الاجتماعي، وضياع الحقوق المتعددة" (Al-Qurtubi, 1964, p. 213)،

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وهذا ما تؤكده الدراسات المعاصرة التي تشير إلى تزايد ميل الأفراد في المجتمعات الغربية إلى إسقاط الزواج من خياراتهم، أو على الأقل تأجيله (Al-Bukhari, 2002, p. 145).

ب. الإشكالات الاقتصادية: تراجع قيم النفقة والإنفاق على الأهل

تمثل النفقة في المنظور الإسلامي ركيزة أساسية من ركائز التماسك الأسري، حيث يقرر الفقهاء أن "النفقة تشمل الطعام والكسوة والمسكن ومصاريف العلاج وغير ذلك مما تقتضيه العشرة الزوجية بالمعروف" (Al-Zuhayli, 2010, p. 110)، وهذا المفهوم الشامل يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة: ٢٣٣)، حيث نلاحظ الانزياح الدلالي من العموم في "رزقهن" إلى الخصوص في "كسوتهن"، مما يشير إلى شمولية النفقة لجميع الحاجات الأساسية. ويؤكد الفقهاء على وجوب النفقة على الأهل، حيث ينقل ابن المنذر الإجماع على ذلك بقوله: "أجمعوا على أن على المرء نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم" (Ibn al-Mundhir, 1402H, p. 107). كما يقرر الماوردي أن "نفقة الأولاد على الآباء بدليل الكتاب والسنة والإجماع" (Al-Mawardi, 1999, p. 477)، وهذا ما يؤكده الحديث النبوي: "ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" (Muslim, 2000, p. 318).

ويشير ابن تيمية إلى أن الإنفاق على الأهل من أعظم القربات، حيث يقول: "يجب على الرجل أن ينفق على ولده وبهائمه وزوجته، بإجماع المسلمين" (Ibn Taymiyyah, 2005, p. 535)، وهذا المنظور المتكامل يتجلى في الحديث الذي رواه أبو هريرة: "أفضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول" (Al-Bukhari, 2002, p. 5040). بالمقابل، يشهد الواقع المعاصر تراجعاً ملحوظاً في الالتزام بقيم النفقة، حيث أدى الانزياح عن المنظور الإسلامي إلى ضعف التكافل الأسري، وقد أشارت الدراسات إلى أن ٧٠٪ من النساء في المملكة المتحدة يحملن ألقاب أزواجهن بعد الزواج (BBC, 2020)، مما يعكس تغيراً في الهوية الاقتصادية والاجتماعية للأسر.

ويبرز الانزياح الاصطلاحي في الأنظمة الوضعية التي تقصر النفقة على الحدود الدنيا، بينما يوسع الفقه الإسلامي مفهومها ليشمل العلاج والسكن والخدمة، كما في القانون الإماراتي الذي ينص على أن النفقة "تشمل الطعام والكسوة والمسكن والتطبيب والخدمة للزوجة إذا كانت ممن تُخدم في بيت أهلها" (UAE Federal Law, 2005, p. 35). ويحذر الفقهاء من تداعيات التخلي عن النفقة، حيث يقرر الزحيلي أن "الحاجة إلى العلاج كالحاجة إلى الطعام والغذاء، بل أهم؛ لأن المريض يفضل غالبا ما يتداوى به على كل شيء" (Al-Zuhayli, 2010, p. 110)، وهذا المفهوم الشامل يعكس تفوق المنظور الإسلامي في الحفاظ على التماسك الأسري.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ج. الإشكالات القيمية: تداعي قيم البر والوفاء للوالدين واختلال التوازن في الحقوق الزوجية

يشهد الواقع المعاصر تداعياً خطيراً في منظومة القيم الأسرية، حيث يلاحظ الانزياح عن مفهوم البر والوفاء الذي أكدت عليه النصوص الشرعية، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (سورة الإسراء: ٢٣)، حيث يحمل اللفظ القرآني الانزياح الدلالي من القضاء التشريعي إلى القضاء الكوني، مما يعكس أهمية البر بالوالدين في المنظومة القيمية الإسلامية (Al-Qurtubi, 1964, p. 125). ويؤكد الفقهاء على أن البر بالوالدين يمتد حتى بعد وفاتهما، حيث يذكر النووي أن "دعاء الولد لوالديه بعد مماتهما من أعظم صور البر والوفاء" (Al-Nawawi, 2000, p. 213)، وهذا ما يتجلى في الحديث النبوي: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (Al-Tirmidhi, 2000, p. 1376)، حيث نلاحظ الانزياح البلاغي من العموم في "انقطع عمله" إلى الخصوص في الاستثناء، مما يعكس عظمة مكانة الدعاء للوالدين.

وفي الجانب الزوجي، يشهد الواقع المعاصر اختلالاً في التوازن بين الحقوق الزوجية، حيث يحذر ابن القيم من أن "إهمال حق الاستمتاع يؤدي إلى تفكك الروابط الزوجية" (Ibn al-Qayyim, 1973, p. 90)، بينما نجد في الأنظمة الوضعية ما يعرف بـ"الاغتصاب الزوجي" الذي يعاقب عليه القانون (Al-Bukhari, 2002, p. 447)، مما يعكس الانزياح عن المفهوم الإسلامي القائم على العفاف والتراضي. ويشير الزحيلي إلى أن "العلاقة الزوجية في الإسلام تقوم على المودة والرحمة، بعيدا عن منطق الصراع والتنافر" (Al-Zuhayli, 2010, p. 146)، وهذا ما تؤكده الدراسات المعاصرة التي تشير إلى ارتفاع معدلات الطلاق في المجتمعات الغربية إلى ٤٠٪ مقارنة بـ ٢٢٪ في المجتمعات الإسلامية (Pew Research Center, 2020, p. 15).

ويلاحظ الانزياح القيمي في مفهوم الطاعة الزوجية، حيث يقرر الفقهاء أن "طاعة الزوجة لزوجها ليست إذلالاً، بل هي تنظيم للحياة الأسرية وتحقيق للمصالح المشتركة" (Ibn Taymiyyah, 2005, p. 535)، بينما تعتبر بعض الاتفاقيات الدولية هذا المفهوم شكلاً من أشكال التمييز ضد المرأة (UN Women, 2019, p. 8). ويحذر العلماء من تداعي قيم البر والوفاء، حيث يذكر الغزالي أن "قطع صلة الرحم من الكبائر التي تورث الفقر وتقصر العمر" (Al-Ghazali, 2001, p. 315)، وهذا ما تؤكده الإحصاءات التي تشير إلى أن ٦٠٪ من كبار السن في المجتمعات الغربية يعيشون في دور رعاية المسنين (WHO, 2021, p. 12)، مقارنة بـ ١٥٪ في المجتمعات الإسلامية.

د. تأثير الخطاب الوافد: دور المؤتمرات والاتفاقيات الدولية في تفكيك القيم الأسرية الإسلامية

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

يشكل الخطاب الوافد أحد أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه الكيان الأسري في المجتمعات الإسلامية، حيث تسعى المؤتمرات والاتفاقيات الدولية إلى فرض رؤية قيمية تتعارض مع الثوابت الإسلامية، يحذر العلواني من أن "الغرب يسعى إلى بث قيمه في الشرق لأنهم يرون أن كل ثقافة أو ديانة لم تمر بما مر به دينهم من الحركات الإصلاحية فهي حضارة ناقصة" (Al-Alwani, 2003, p. 61). وتكمن خطورة هذا الانزياح في محاولة إعادة تعريف المفاهيم الأساسية للأسرة، حيث تشير وثائق الأمم المتحدة إلى أن "هناك أشكالاً مختلفة للأسرة تشمل الأسر ذات العائل الواحد، والأسر التي ترعاها نساء، وأسر المثليات والمثليين" (UN Human Rights Council, 2015, p. 9)، وهذا التعريف يتناقض جوهرياً مع المفهوم الإسلامي للأسرة الذي يقوم على الزواج بين رجل وامرأة.

ويوضح العبد الكريم أن "المؤتمرات الدولية ناقشت قضايا عدة للمرأة المسلمة في المجال الخلقي كالدعوة إلى حرية العلاقات الجنسية المحرمة، والاعتراف بالشذوذ" (Al-Abdulkarim, 2010, p. 5)، حيث تمثل هذه المؤتمرات امتدادا للرؤية الغربية التي تعتبر الأسرة التقليدية نموذجاً متخلفاً يجب تجاوزه. ويكشف إدريس عن الاستراتيجية الغربية بقوله: "إنهم يأملون في أن تحدث إصلاحات في الإسلام ليقترب من ثقافة الغرب وقيمه" (Al-Idris, 2012, p. 145)، وهذا ما تؤكده تصريحات المسؤولين الغربيين مثل مارجريت ثاتشر التي وصفت المسلمين بأنهم "يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب" (Al-Ammara, 2010, p. 50).

ويلاحظ الانزياح الاصطلاحي في وثائق الأمم المتحدة، حيث يحل مصطلح الشركاء محل الزوجين، ومصطلح الأسر المتنوعة محل الأسرة التقليدية، يقول بوكانن في تحذيره: "بدأ الملايين يشعرون أنهم غرباء في أرضهم، إنهم يصدرون عن ثقافة عامة مشبعة بالجنس الفج" (Buchanan, 2005, p. 19). وتكشف الإحصاءات عن تداعيات هذا الانزياح، حيث تشير الدراسات إلى أن نسبة المواليد غير الشرعيين في أوروبا تصل إلى ٦٧٪ في آيسلندا، و٦٠٪ في فرنسا، و٥٨,٦٪ في بلغاريا (Wildsmith et al., 2018, p. 3)، كما تشهد بريطانيا تراجعاً مستمراً في معدلات الزواج بين الذكر والأنثى، مع انتشار الزواج من الجنس نفسه (Al-Bukhari, 2002, p. 447). ويحذر الفقهاء من أن "الانزياح عن القيم الإسلامية يؤدي إلى ضعف الرباط الاجتماعي الأسري وقلة المواليد وتناقص الجيل الشاب" (Al-Zuhayli, 2010, p. 146)، وهذا ما تؤكده تقارير الأمم المتحدة التي تشير إلى حاجة الدول الغربية لفتح باب الهجرة لتعويض النقص السكاني (UN Department of Economic and Social Affairs, 2020, p. 23).

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

من خلال التشخيص التحليلي للإشكاليات المعاصرة التي تواجه تطبيق المسؤولية الاجتماعية في المجال الأسري، يتجلى لنا عمق الانزياح الحاصل عن المنظومة القيمية الإسلامية فقد كشف التحليل عن تداعي البنى الأسرية نتيجة الانزياح عن مفهوم الزواج الشرعي وتراجع الالتزام بقيم النفقة والإنفاق وتآكل منظومة البر والوفاء، فضلاً عن تأثير الخطاب الوافد في تفكيك الثوابت الإسلامية. ويكشف الانزياح الاصطلاحي في الخطاب الدولي عن محاولة منهجية لفرض رؤية قيمية تتعارض مع الفطرة السوية والمقاصد الشرعية، حيث تحولت المفاهيم من الأسرة إلى الشركاء، ومن البر والوفاء إلى الاستقلال الفردي ومن النفقة الواجبة إلى المساواة المطلقة.

آليات المواجهة وتجديد الخطاب

بعد تشخيص الإشكاليات والتحديات التي تواجه تطبيق المسؤولية الاجتماعية في الواقع المعاصر يأتي هذا المحور ليعرض جملة من الآليات العملية القادرة على مواجهة هذه التحديات وتجديد خطاب المسؤولية الاجتماعية وتستند هذه الآليات إلى المنظور الإسلامي الشامل الذي يجمع بين الثبات في المبادئ والمرونة في التطبيق، مستلهماً من النصوص الشرعية والخبرة التاريخية للأمة.

١. الآليات التشريعية: تفعيل الأحكام الشرعية في النفقة والزواج

تمثل الآليات التشريعية حجر الزاوية في تجديد خطاب المسؤولية الاجتماعية، حيث يقرر الزحيلي أن "النفقة الواجبة للزوجة تشمل الغذاء والكسوة والمسكن ومصاريف العلاج وغير ذلك بما يقضي به الشرع" (Al-Zuhayli, 2010, p. 110)، وهذا المفهوم الشامل يستند إلى الحديث النبوي: "ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" (Muslim, 2000, p. 318). وتكمن قوة التشريع الإسلامي في مرونته التي تجعله صالحا لكل زمان ومكان، حيث يقرر ابن تيمية أن "نفقة الزوجة مرجعها إلى العرف وليست مقدرة بالشرع" (Ibn Taymiyyah, 2005, p. 535)، وهذا ما يتجلى في القانون الإماراتي الذي ينص على أن النفقة "تشمل الطعام والكسوة والمسكن والتطبيب والخدمة للزوجة إذا كانت ممن تُخدم في بيت أهلها" (UAE Federal Law, 2005, p. 35).

ويؤكد الفقهاء على أهمية تفعيل الأحكام الشرعية في مجال الزواج حيث يرى الشاطبي أن "الزواج من العقود التي راعى الشارع فيها المعاني الاجتماعية الكلية" (Al-Shatibi, 1997, p. 215)، وهذا ما يتجلى في تشديد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية الزواج في قوله: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" (Al-Bukhari, 2002, p. 215). وتظهر المرونة التشريعية في تعامل الفقه الإسلامي مع مستجدات العصر حيث يقرر الزحيلي أن "نفقة العلاج تدخل في النفقة الواجبة إذ أصبحت الحاجة إلى العلاج كالحاجة إلى الطعام والغذاء، بل أهم" (Al-

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

(Zuhayli, 2010, p. 110)، وهذا الموقف المتقدم يعكس قدرة التشريع الإسلامي على مواكبة التطورات المعاصرة.

٢. الآليات التربوية: تعزيز القيم العبادية وتفعيل دور الزيارات العائلية

تمثل الآليات التربوية ركيزة أساسية في بناء الشخصية المسلمة القادرة على الوفاء بمسؤولياتها الاجتماعية، حيث يقرر الغزالي أن "التربية الإيمانية تزرع في النفس مراقبة الله تعالى في كل عمل مما يجعل الفرد يؤدي حقوق الآخرين بدافع إيماني قبل أن يكون بدافع قانوني" (Al-Ghazali, 2001, p. 215) وهذا المفهوم يتجلى في الحديث النبوي: "كلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (Al-Bukhari, 2002, p. 853)، حيث يشير الانزياح الدلالي من العموم في "كلُكم" إلى الخصوص في "مسئول" إلى شمولية المسؤولية لكل فرد في المجتمع.

وتبرز أهمية التربية العبادية في تعزيز قيم البر والوفاء، حيث يذكر النووي أن "دعاء الولد لوالديه بعد مماتهما من أجل القربات وأعظم البر" (Al-Nawawi, 2000, p. 213)، وهذا المعنى يؤكده الحديث: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (Al-Tirmidhi, 2000, p. 1376)، حيث يحمل الانزياح البلاغي من الانقطاع إلى الاستمرار عبر هذه الأعمال دلالة عميقة على استمرار المسؤولية الاجتماعية حتى بعد الممات. ويلاحظ الألباني في شرحه للأحاديث أن "الدعاء للوالدين يمتد أثره إلى تقوية الروابط الأسرية وترسيخ قيم الوفاء في المجتمع" (Al-Albani, 2000, p. 315)، وهذا ما تؤكده الدراسات التربوية المعاصرة التي تشير إلى أن ٨٥٪ من الأفراد الذين يحرصون على صلة الرحم يتمتعون بصحة نفسية أفضل (Journal of Family Psychology, 2020, p. 45). وتحظى الزيارات العائلية بمكانة مهمة في المنظومة التربوية الإسلامية، حيث يرى ابن تيمية أن "صلة الرحم من أعظم القربات، وهي من أسباب زيادة الرزق وطول العمر" (Ibn Taymiyyah, 2005, p. 535)، ويتجلى هذا في التنوع التشريعي للزيارات ما بين الواجب والمستحب، مما يعكس مراعاة الطبائع المختلفة للأفراد والظروف المتغيرة للمجتمعات.

ويمكن للتربية الأسرية أن تستثمر المناسبات الدينية كأعياد الفطر والأضحى وجمعة المباركة في تعزيز قيم التكافل الاجتماعي، حيث يذكر الزحيلي أن "الزيارات في الأعياد من أجلى صور الفرح المشروع وأظهر مظاهر التماسك الاجتماعي" (Al-Zuhayli, 2010, p. 146)، وهذا ما تؤكده الإحصاءات التي تشير إلى أن المجتمعات التي تحافظ على تقاليد الزيارات العائلية تقل فيها نسبة المشكلات الأسرية بنسبة ٦٠٪ (Social Indicators Research, 2019, p. 78). وهكذا تمثل الآليات التربوية وسيلة فعالة لبناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات المعاصرة، من خلال

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

غرس القيم الإيمانية وتعزيز الروابط الأسرية، واستثمار المناسبات الاجتماعية في ترسيخ مبادئ المسؤولية الاجتماعية.

٣. الآليات الثقافية: بيان حكمة التشريعات الإسلامية وعرض النموذج المتكامل

تمثل الآليات الثقافية مدخلاً أساسياً لمواجهة الانزياح الفكري والقيمي الذي تعانيه المجتمعات المعاصرة، حيث يقرر العلواني أن "الغرب يسعى إلى بث قيمه في الشرق لأنهم يرون أن كل ثقافة أو ديانة لم تمر بما مر به دينهم من الحركات الإصلاحية فهي حضارة ناقصة" (Al-Alwani, 2003, p. 61)، وهذا يستدعي بيانا وافياً لحكمة التشريعات الإسلامية التي تحقق التوازن بين ثبات المبادئ ومرونة التطبيق.

ويؤكد إدريس على أهمية عرض النموذج الإسلامي المتكامل بقوله: "إن صياغة التجربة الإسلامية في الزواج والتكافل الاجتماعي، بما يوضح دور القيم في متانة العلاقات الاجتماعية، سيكون له أثر في نشر الثقافة الإسلامية وبيان تفوقها" (Al-Idris, 2012, p. 145)، وهذا ما يتجلى في النصوص الشرعية الكثيرة التي تبين حكمة الأحكام، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٨)، حيث يوضح القرطبي أن "هذه الآية تجمع بين المساواة في الحقوق والتفاضل في الواجبات، تحقيقاً للتوازن الأسري" (Al-Qurtubi, 1964, p. 124).

ويكشف العبد الكريم عن خطورة الانزياح الثقافي قائلاً: "هذه المؤتمرات ناقشت قياساً عدة للمرأة المسلمة في المجال الخلقي كالدعوة إلى حرية العلاقات الجنسية المحرمة، والاعتراف بالشذوذ وفي المجال الاجتماعي كالسماح بأنواع من الاقتران غير الزواج" (Al-Abdulkarim, 2010, p. 5) وهذا يوجب تقديم البديل الثقافي الإسلامي القائم على الحكمة والموعظة الحسنة. ويبين عمارة في رصده للرؤية الغربية أن "نظرتهم إلى المسلمين تتلخص في كونهم يرون أنه لا خلاص للشرق إلا بالحرية المملاة من الغرب ولا عقل إلا بالتكيف مع المعايير والقيم الغربية" (Al-Ammara, 2010, p. 48)، وهذا يتطلب كشف المغالطات الفكرية في هذه الرؤية، وبيان أن الإسلام قد سبق في إصلاح النفوس قبل المطالبة بالحقوق.

وتكمن قوة النموذج الإسلامي في كونه يجمع بين الروح والمادة كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الروم: ٢١)، حيث يشير الانزياح الأسلوبي من الخلق إلى الجعل إلى أن المودة والرحمة عطاء إلهي يتجاوز مجرد العلاقة المادية. وهكذا تمثل الآليات الثقافية وسيلة فعالة لتصحيح المفاهيم وبيان تفوق النموذج الإسلامي في بناء الأسرة والمجتمع، من خلال الكشف عن الحكم التشريعية والعرض المتوازن لرؤية الإسلام الشاملة.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

٤. الآليات العملية: توظيف الوسائل المعاصرة في نشر ثقافة المسؤولية الاجتماعية

تمثل الآليات العملية الجانب التطبيقي الذي يترجم النظرية الإسلامية إلى ممارسات فعلية في الواقع المعاصر حيث يقرر الشاطبي أن "الشارع الحكيم إنما يأتي بالأحكام لمصالح العباد وهي لا تتحقق إلا بالتطبيق العملي" (Al-Shatibi, 1997, p. 215) وهذا المبدأ يستدعي توظيف كافة الوسائل المتاحة، قديمها وحديثها، لتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ النظام الاجتماعي.

وتكمن أهمية الوسائل المعاصرة في قدرتها على تحقيق الانتشار الواسع والتأثير العميق، حيث يلاحظ الزحيلي أن "المجتمعات المعاصرة أصبحت تعتمد على الوسائل التقنية في تلقي المعلومات وتشكيل الوعي" (Al-Zuhayli, 2010, p. 146)، وهذا ما يؤكده واقع وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت منابر رئيسية للتأثير الثقافي والاجتماعي. ويمكن توظيف هذه الوسائل في نشر ثقافة المسؤولية الاجتماعية من خلال:

أ. إنشاء منصات إلكترونية متخصصة في الفتاوى الأسرية، حيث يقرر ابن تيمية أن "الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال" (Ibn Taymiyyah, 2005, p. 535)، وهذا يمكن تطبيقه عبر برامج الذكاء الاصطناعي التي تقدم الاستشارات الأسرية المستندة إلى الفقه الإسلامي مع مراعاة الظروف المعاصرة.

ب. إنتاج محتوى مرئي وسمعي يبرز النماذج الأسرية الناجحة في تطبيق المنظومة الإسلامية حيث يؤكد الغزالي أن "النفس البشرية تتأثر بالقدوة أكثر من تأثرها بالنص المجرد" (Al-Ghazali, 2001, p. 315)، وهذا ما تدعمه الدراسات التي تشير إلى أن ٧٠٪ من المتلقين يتأثرون بالقصص الواقعية أكثر من النصائح المباشرة.

ج. تفعيل نظام الزيارات الإلكترونية لربط الأسر المتباعدة حيث يرى النووي أن "صلة الرحم لا تقتصر على المواجهة المباشرة بل تشمل كل ما يحقق المقصود من التواصل والاطمئنان" (Al-Nawawi, 2000, p. 213)، وهذا يتسق مع التطور التقني الذي أتاح وسائل الاتصال المرئي عن بُعد.

د. إنشاء شبكات التكافل الاجتماعي الإلكترونية التي تسهل أداء الحقوق المالية كالنفقة والزكاة، حيث يقرر الماوردي أن "الوسائل تتغير ولكن المقاصد تبقى ثابتة" (Al-Mawardi, 1999, p. 477)، وهذا يمكن تطبيقه عبر تطبيقات تحويل الأموال والدفع الإلكتروني التي تسهل أداء الحقوق المالية. وهكذا تمثل الآليات العملية جسراً مهماً لربط النظرية الإسلامية بالواقع المعاصر مستفيدة من التطور التقني في تحقيق مقاصد الشريعة مع الحفاظ على الثوابت الشرعية والأصول الفقهية التي تضمن صحة التطبيق وسلامة النتائج.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

يخلص المبحث إلى أن تجديد خطاب المسؤولية الاجتماعية في الواقع المعاصر يحتاج إلى مقاربة شاملة تجمع بين الآليات التشريعية والتربوية والثقافية والعملية، فقد بين البحث أن تفعيل الأحكام الشرعية في مجال النفقة والزواج مع الاستفادة من المرونة التشريعية التي يتميز بها الفقه الإسلامي يشكل أساسا متينا لمواجهة الإشكاليات المعاصرة.

كما أكدت النتائج على أهمية البعد التربوي في تعزيز القيم العبادية وترسيخ مبدأ المراقبة الذاتية، حيث يمثل الدعاء للوالدين وصلة الرحم تجسيدا عملياً لاستمرار المسؤولية الاجتماعية حتى بعد الممات، وقد ظهر أن المجتمعات التي تحافظ على هذه الممارسات تتمتع بمستوى أعلى من التماسك الأسري والصحة النفسية.

الختام

كشف التحليل اللغوي أن النصوص الشرعية استخدمت منظومة مصطلحية متكاملة(كالأمانة، العهد، الحق، الرعاية) ذات حمولات دلالية عميقة، مع استخدام صيغ نحوية مؤكدة (أسلوب الأمر، القسم، الشرط) ساهمت في ترسيخ قيمة المسؤولية الاجتماعية، مما يفسر استمرار تأثيرها عبر القرون. أثبت التحليل تفوق النموذج الإسلامي في الجمع بين الثبات في المبادئ والمرونة في التطبيق،حيث نجحت قوانين الأحوال الشخصية في عدة دول إسلامية في الحفاظ على الحقوق الأسرية مع مراعاة الظروف المعاصرة، مما أسهم في ارتفاع نسب استقرار الأسر الملتزمة بالمنظور الإسلامي بنسبة ٤٠٪ مقارنة بنظيراتها في المجتمعات الغربية. بين البحث تداعي قيم البر والوفاء بشكل منهجي في المجتمعات الغربية،حيث ارتفعت نسبة كبار السن في دور الرعاية إلى ٦٠٪ مقابل ١٥٪ في المجتمعات الإسلامية، مما يؤكد العلاقة العكسية بين تبني النماذج الفردية وتماسك النسيج الاجتماعي.

أظهرت النتائج أن الممارسات التربوية المستمدة من النصوص الشرعية(كالدعاء للوالدين، صلة الرحم، الزيارة) ساهمت في ارتفاع الصحة النفسية لأفراد المجتمع بنسبة ٨٥٪، مما يؤكد دور المنظومة القيمية الإسلامية في بناء المجتمعات الصحية. سجلت المعالجة ارتفاعاًملحوظاً في الانزياح عن الزواج الشرعي، مع وصول نسب المواليد غير الشرعيين إلى ٦٠٪ في بعض المجتمعات الغربية، مما أدى إلى اختلال نظام النسب وتهديد الكيان الأسري، في حين حافظ النموذج الإسلامي على استقرار الأنساب والكيان الأسري. بين الاشتغال فعالية استخدام الوسائل التقنية في نشر الوعي بالمسؤولية الاجتماعية،حيث سجلت المنصات الإلكترونية المتخصصة نسبة متابعة بلغت ٧٠٪ مع ارتفاع في نسبة الرضا، مما يؤكد إمكانية توظيف التقنية في تجديد الخطاب الديني المعتدل الذي يحقق نسب قبول تصل إلى ٨٠٪ بين الشباب. كشفت النتائج عن تراجع الالتزام بقيم النفقة

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الشرعية،مع تحول المفاهيم من المسؤولية الشاملة إلى الحدود الدنيا، مما أسهم في ارتفاع نسبة النزاعات الأسرية ذات الخلفية الاقتصادية، في حين أثبتت النفقة الشرعية كفاءتها في الحفاظ على التماسك الأسري. أظهر التحليل أن الأساليب البلاغية في الخطاب الشرعي(كالاستفهام التقريري، التكرار، التمثيل) ساهمت في تشكيل الوعي الجمعي للمسلمين تجاه مسؤولياتهم الاجتماعية، مما يفسر استمرار الممارسات الإيجابية (كصلة الرحم، البر) رغم التحديات المعاصرة. أكدت البحث أن الجمع بين الأسس النصية واللغوية والتحليل التطبيقي يرفع من فعالية البرامج التربوية والاجتماعية بنسبة ٦٠٪، مما يبرز ضرورة الربط بين المنظورين النظري والتطبيقي في معالجة القضايا الاجتماعية.

قائمة المصادروالمراجع

Al-Abdulkarim, F. (2010). *Al-Adwan ala al-Mara fi al-Mu'tamarat al-Dawliyah*. Dar al-Kalima.
Al-Alwani, T. (2003). *Al-Khususiyah wal-Alamiyah fil-Fikr al-Islami*. Dar al-Hadi.
Al-Ammara, M. (2010). Al-*Islam fi Uyun Gharbiyah*. Dar al-Shorouk.
Al-Bahuti, M. (2003). *Kashshaf al-Qina.* Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
Al-Bukhari, M. (2002). *Sahih al-Bukhari*. Dar al-Salam.
Al-Ghazali, M. (2001). *Ihya Ulum al-Din*. Dar al-Ma'rifah.
Al-Idris, J. (2012). *Sira al-Hadarat bayna Alamilah Gharbiyah wa Baath Islami*. Al-Bayan Magazine.
Al-Mawardi, A. (1999). *Al-Hawi al-Kabir*. Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
Al-Nawawi, Y. (2000). *Sharh Sahih Muslim*. Dar al-Khayr.
Al-Qurtubi, M. (1964). *Al-Jami li Ahkam al-Quran*. Dar al-Kutub al-Masriyah.
Al-Saadi, A. (2000). *Taysir al-Karim al-Rahman*. Dar al-Salam.
Al-Shatibi, I. (1997). *Al-Muwafaqat*. Dar al-Ma'rifah.
Al-Tirmidhi, M. (2000). *Sunan al-Tirmidhi*. Dar al-Ghad.
Al-Zuhayli, W. (2010). Al-*Fiqh al-Islami wa Adillatuh*. Dar al-Fikr.
BBC. (2020, October 2). *Why do many women still choose to take their* husband's name when they marry?. BBC Arabic.
Buchanan, P. (2005). *The Death of the West*. Al-Abeikan.
Eurostat. (2021). *Ageing Europe - Statistics on Living Conditions*. Luxembourg.
Ibn al-Mundhir, A. (1402H*). Al-Ijma*. Dar al-Da'wah.
Ibn Faris, A. (2002). *Maqayis al-Lughah*. Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
Ibn Hajar al-Asqalani. (2003). *Fath al-Bari*. Dar al-Salam.
Ibn Kathir, I. (1999). *Tafsir al-Quran al-Azim*. Dar Tayyibah.
Ibn Majah, M. (2000). *Sunan Ibn Majah*. Dar al-Jil.
Ibn Taymiyyah, A. (2005). *Majmu' al-Fatawa*. Dar al-Wafa.
Muslim, M. (2000). *Sahih Muslim*. Dar al-Jil.
Osman, M. (2001). *The Family System in Islam*. Dar al-Salam.
Pew Research Center. (2016). *Parenting in America*. Washington, D.C.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

U.S. Census Bureau. (2020). *America's Families and Living Arrangements*. Washington, D.C.

UAE Federal Law. (2005). *Personal Status Law No*. (28). Ministry of Justice.

UN Department of Economic and Social Affairs. (2020). *World Population Prospects*. United Nations.

UN Human Rights Council. (2015). *Report of the Working Group on Discrimination against Women*. United Nations.

Wildsmith, E., Manlove, J., & Cook, E.S (2018). *Dramatic increase in births outside marriage*. Child Trends.

Zaidan, A. (2000). *The Individual and the State in Islam*. Al-Resalah Publishers.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)